عوامل انتشار الوعي الديني والقومي في منطقة زواوة

أ. محمد حراث

جامعة تيزي وزو

1- مقدمة: تعدّ منطقة زواوة بشقّيها (الكبرى والصّغرى) قطبا حيويا للنّشاط الفكري الذي عرفه المغرب الأوسط قديما، وكان للعلماء الزّواويين دور كبير في نشر الوعي الحضاري والفكري والديني في الجزائر، وكان للزوايا والمدارس القرآنية والمعاهد، ولأعلام الصّوفيّة في الجزائر، دورٌ فعّال كذلك في تثبيت دعائم الوحدة والهوية الوطنية؛ من دينٍ ولغةٍ وعادات وتقاليد وأعرافٍ اجتماعية. كلّ هذه العوامل وغيرها هي التي وقفت أيضا أمام المحتلّ الفرنسي الغاشم، الذي جاء يحمل معول الهدم مستهدفا كلّ ما هو عربيّ ومسلم في منطقة زواوة.

2/- لمحة تاريخية عن منطقة زواوة والتراث المازيغي: لقد احتضنت منطقة القبائل الإسلام منذ الفتح الإسلامي، بل كانت "ملجأً آمنا لذرّيّة الرّسول صلى الله عليه وسلّم، الذين هاجروا إلى إفريقية الشمالية فرارا من ملاحقة الخلفاء الأمويين والعباسيين، خصوصا بعد المجازر التي ارتُكبت بحقّهم خلال مأساة كربلاء سنة 680م، وواقعة فخ سنة 762م، حتى صارت منطقة القبائل الصغرى تُنعَتُ في المصادر التاريخية **دار الهجرة ومستقرّ الإيمان**، والبربر من كتامة ينعتون بالأولياء والإخوان، كما هو الحال إلى يومنا الحاضر بلا انقطاع لدى الطريقة الرحمانية الذين لا يزالون يُنعتون بالإخوان"[1].

وأذكر في هذا المقام حديثا على سبيل الاستشهاد التلطفي، والذي في سنده ضعف، وقد ورد هذا الحديث في كتاب (سلسلة الأصول في شجرة أبناء

الرسول) لعبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف، وفيه أن فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- قالت: "سمعت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] يقول: إنّ لي بالمدينة أنصارا، ولولديّ بالمغرب أنصارا، يا فاطمة: سيقتل الحسن والحسين، ولا يجد ذريّتهما أنصارا إلا البربر، فيا شقاوة من قتلهما، ويا سعادة من أحبّهما، يا فاطمة: قد جعل الله في قلوب البربر لذرّيّتي محبّةً ورحمة وسيكون قوم من البربر على اليقين والدّين إلى يوم الدّين". أضف إلى ذلك ما يروى عن الاعتقاد الشعبي الذي يقول: إنّ هناك سبعة رجال لقوا النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وكلّموه بالمازيغية، وأجابهم بها، وأعطاهم كتابا للمغاربة. وهذا يدلّ على تمسّك البربر بالرّسالة المحمّديّة والإسلام تمسّكا عظيما.

وقد كتب محمّد البشير الإبراهيمي – رحمه الله- في جريدة البصائر في عددها التاسع والخمسين الصّادر سنة 1948م؛ مقالا عنوانه: (زواوة الكبرى تستمسك بعروة الإسلام الوثقى وتطلب الرّجوع إلى الأصل) وفيها يروي أنه وصلته عريضة من رجال زواوة الكبرى، وعليها إمضاءاتهم، يطالبون فيها - بتأكيدٍ- من الحكومة الجزائرية إلغاء القوانين الخاصة بزواوة في الأحوال الشخصية، تلك القوانين التي تستند إلى العوائد والأعراف، لا إلى أحكام الشريعة المطهرة، ويطلبون الرجوع إلى الأصل، وهو أحكام الشرع الإسلامي في الزواج والطلاق والبيع والشراء والميراث وغيرها، ولا بأس أن أعرض مقتطفا من هذا المقال:

"... والحكم بالعوائد مطلب عزيز من مطالب الاستعمار الفرنسي، زرع بذوره في أرض زواوة وتعهّدها بالسّقي والعلاج، وقوّاها بتقوية مراكز التبشير وإطلاق يد المبشرين، وظنّ أنها استغلظت واستوت على سوقها، واطمأنّت إليها النّفوس، فجاءت هذه العريضة مجتثّةً لما غُرس من أصله وأقامت الدّليل للمغرورين بالظّواهر على أنّ زواوة معقِلٌ من معاقل الإسلام والعروبة، كانت وما زالت على ذلك ... إنّ الغاية التي يرمي إليها الاستعمار من تمكين العوائد

وجعلها أساسا للأحكام، هو إبعاد طوائف من المسلمين عن الإسلام بالتدريج حتى تضعف فيهم النّعرة الدينية، وعاطفة التآخي الإسلامي وتصير الأمّة الواحدة أمّتين أو أمما، أمّا الموقّعون على العريضة فهم خلاصة الوطن الزّواوي، وهم أصحاب الرأي والتوجيه فيه، ولا نشكّ أنّ الأمّة الزّواويّة الأصيلة من ورائهم في هذا المطلب، أَكْرِم بأصحاب الزّوايا حين ينتصرون للدّين هذا الانتصار".

وفي هذه العبارة الأخيرة ما يدعّم الرّأي القائل بأنّ منطقة زواوة إنّما سمّيت بهذا الاسم لكثرة زواياها، وهذا ما نشهده اليوم، إذْ أنّ منطقة القبائل بها زخم كبير من الزوايا والمدارس القرآنية وبخاصة ولاية بجاية.

3/- ثورة القبائل: لقد كانت منطقة زواوة من قبلُ حصينةً، وكما استعصت على الاحتلال الفرنسي استعصت كذلك على العثمانيين قبلهم، بل بقيت بعض المناطق الكثيرة من زواوة غير خاضعة للعثمانيين منذ دخولهم حتى دخول فرنسا، وكانت تدفع لهم ضريبة الاستقلال الداخلي، ومحاولة توغّل العثمانيين في منطقة زواوة، وفرض ضرائب جديدة على أهلها نتيجة النقص في غنائم البحر؛ دفع الزواويين إلى الثّورة على العثمانيين خلال القرن الهجري الثاني عشر، ففي سنة 1158هـ خرج أهل زواوة ضد القائد العثماني محمد الفريرا المشهور بالدّبّاح، واستولى الزواويون على برج قلعة بوغني وبعد شهر استولوا على برج حمزة (البويرة اليوم) وتمكنوا من قتل قائد الحامية العثمانية في سباو وهو محمد الدّبّاح، وقد استمرّت الثورة مدّة سنة على الأقلّ، وأزعجت السلطات العثمانيّة، فجنّدت لها جيشا من العاصمة بقيادة شريف آغا، ومن المديّة بقيادة الباي سفطان، ومن قسنطينة بقيادة الباي أحمد القلي، وبذلك وضع حدّا لهذه الثّورة الخطيرة على الوجود العثماني[2].

أما في عهد الاحتلال الفرنسي، فقد كانت المراكز الأولى التي احتلّتها فرنسا في بلاد القبائل هي: دلس، وبجاية من الساحل، وبني منصور، وذراع الميزان فيما بعد، وكذلك تيزي وزو، وهكذا أحاطوها من الشرق والغرب

والجنوب (باحتلال سور الغزلان) بمراكز عسكرية، فأصبحت بذلك لهم قاعدة ينطلقون منها لاحتلال المناطق الجبلية، إلا أنهم واجهتهم صعوبات كبيرة بسبب المقاومة الشرسة للأهالي، وبعد أنْ تولى الماريشال (بيجو) منصب الحاكم العام على الجزائر في شهر فيفري 1841م قرر غزو بلاد القبائل ابتداءً من عام 1842م لإخضاعها، وقد بدأت حملته في شهر سبتمبر 1842م وانتهت يوم 15 أكتوبر 1842م، دون أن تحقّق نتائج مهمّة، وابتداءً من 1 مارس 1843م ترأّس الدّوق دومال حملةً أخرى، إلا أنها لم تحقّق الشّيء الكثير، ما عدا الخراب الذي ألحقه بالقرى في قبيلة نزليوة جنوب ذراع الميزان، وأنهى حملته يوم 21 مارس.

وقد وقعت أحداث كبيرة منذ ربيع 1843م إلى غاية نهاية الأربعينات وقعت فيها معارك كثيرة بين مختلف القوات الفرنسية، وزعماء المقاومة في شتى مناطق بلاد القبائل المقدّسة، ولم تحقّق فرنسا خلالها أي انتصار أو تقدّم ملحوظ، بسبب الشجاعة والبسالة والتضحية التي امتاز بها أبطال القبائل الأشاوس[3]. وبقيت بلاد القبائل مستقلّةً حتى سنة 1847م، وصمدت أمام العدو الفرنسي إلى غاية 1857م، ويرجع الفضل في ذلك إلى الجبال الوعرة التي ساعدت السّكان على مقاومة المحتل الذي وجد صعوبة في اختراقها، ومن أوائل المجاهدين في هذه المنطقة: الشريف مولاي محمد، الملقّب بوعود (1845م-1847م) الذي حارب من قبل في صفوف بومعزة، ولما قضت فرنسا على ثورة هذا الأخير، حمل لواء الجهاد بالونشريس، وكان من أهم أعوانه سي الجودي فخاض عدّة معارك ضدّ العدوّ، والتحق من بعد ببلاد القبائل بجرجرة، حيث أعلن الجهاد تحت راية الإسلام، وانضمّ إلى صفوفه ثم توجّه إلى جيجل والقل واستجاب القبائل لدعوته الجهادية، فحملوا السلاح، وأعلنوها نارا حاميةً على العدو، واستمر مولاي محمد في نشاطه الجهادي إلى غاية أوت 1847م. لكن سكان القبائل الأحرار لم يركنوا إلى الاستسلام، فثارت كل من قبيلة بني

يعلى، وبني مليكش في وجه الاحتلال عندما حاولت فرنسا المساس بحرمة أراضيهم، وفي سنة1847م قامت الثورة بقيادة مولاي إبراهيم والذي دعا سكان القبائل إلى الانضمام إلى ثورته، فانضم الكثير منهم، ومنهم قبائل بني يَنِّي وبني واسيف، وفي 1850م امتدّت ثورته إلى بجاية. وظهر في هذا الوقت –أيضا- المجاهد الشريف بوبغلة (محمد الأمجد بن عبد المالك) وحاول تحريك كل القبائل في بلاد القبائل واحتضنته قبيلة بني مليكش وانضم إليه أتباع الطريقة الرحمانية، وهاجم مراكز العدوّ، واستولى على زاوية الباشاغا بني علي الشريف، الموالي لفرنسا، وانتزع منه ممتلكاته، وكردّ فعلٍ على أعماله الثورية، دمّرت فرنسا القرى المساندة له، وسقط شهيدا يوم 26 ديسمبر 1845م، واستمر الجهاد بعده، لكنه هذه المرة على يد المرأة المجاهدة لالة فاطمة نسومر، التي أعطت درسا تاريخيا للجنرال (راندون) والحاكم العام للجزائر (مكماهون) فمن جبال جرجرة أعلنت الجهاد باسم الإسلام، فجاءها سكانها من كل المناطق، وألحقت بالجيش الفرنسي عدّة هزائم، من أشهرها: معركة إيشريضن وتاشكريت سنة 1854م[4]، وتاريخها الطويل والمجيد يعرفه العام والخاص، والعدو قبل الصديق.

4/- التصوف والمتصوفة في منطقة القبائل: تعدّدت التعريفات واختلفت حول مفهوم التصوف وماهيته، ولسنا هنا بصدد سرد هذه التعاريف، لكن لا بأس في أن أذكر قول ابن خلدون في المتصوّفة: "وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتّابعين ومن تبعهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور؛ من لذّةٍ ومالٍ وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف فلمّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن التّاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة"[5].

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنّ منشأ التوجّه نحو التصوّف هو "ثورة الضّمير على ما يصيب النّاس من مظالم ... وتقترن هذه الثورة برغبةٍ في الكشف عن اللّه بأي وسيلةٍ تقوّيها تصفية القلب من كل شاغل"[6]. ويقول بعض الصوفية إنهم تسمّوا بذلك من الصفاء والتصفية الروحية التي يمارسونها، ويرى آخرون أنّهم إنما سُمّوا كذلك للبسهم الصوف؛ إذْ أن الصوفية في أول أمرهم كانوا يلبسون الصوف، ولبس الصوف في ذلك الوقت أمارةٌ على الزهد والتقشف في ملذات الدنيا، ويدل كذلك على العبوديّة والتواضع والفقر. وظهرت في التصوف طرائق عدّة، كلّ طريقة تعتقد أنها سلّم الوصول إلى السعادة الأبدية، والترقية الروحية، والتزكية النفسية، والنجاة من الأدران والذنوب. ولكلّ طريقة صوفيّةٍ شيخ أو مولى، وهو حامل البركة، وهو الذي يمنح البركة لغيره، وأما المقدَّمون فيمنحهم شيخ الطريقة إجازاتٍ مختصرة عادةً، وتتعلّق بتعاليم الطريقة، أو بالتزكية والتوصية، واشتهرت الطرائق الصّوفية بزواياها، ولكلّ طريقة زاوية خاصة تنسَبُ إلى الطريقة الأم، وتمثل الزاوية خلوةً للعبادة الصّوفية، وتقوم بدور الرّباط[7].

5/- دور التصوف والطرائق الصوفية في المقاومة: مخطئٌ من قال إنّ التّصوّف هو النزوع إلى الكسل والتمايل والخمول والبطالة والفرار من معترك الحياة، ولكن سنحاول أنْ ننفي هذه الشائعة وهذا الحكم السّطحي الأولي الذي يُلقى على أهل التّصوّف، وبخاصة في بلادنا. إنّ هناك صلةً كبيرةً بين التّزكية الرّوحيّة، وبين البطولة والكفاح، فكل تلك القوة المعنويّة التي يحتاجها للتّضحية، والفداء وبذل الأرواح والمهج؛ من إخلاص وعاطفة وربانيّة "لا تنشأ ولا تظهر –في أغلب الأحيان- إلا بعد صفاء الرّوح، وتهذيب النّفس والرّياضة والعبادة"[8] ونظرةٌ عامّة إلى الذين قادوا الثورات، وأشعلوا فتيلها في الجزائر، تكشف أنّهم كانوا قادة روحانيين قبل ذلك، كيف لا ومنهم الأمير عبد القادر الجزائري، وسيدي أحمد الشريف السّنوسي، والشّيخ الحدّاد

وغيرهم كثير. إنّ هذه الرّياضة الرّوحية والتّزكية النّفسيّة، تعمل عمل السّحر في النّفوس، وتدفعها إلى التّضحية بأسمى معانيها، من أجل المبادئ التي تؤمن بها، أو المقدّسات التي تقدّسها، وما الوطن إلا إحدى هذه المقدّسات، إنْ لم يكن أقدسها.

فها هو ذا الأمير عبد القادر الذي أشعل شرارة الثّورة الأولى، وأقضّ مضجع الفرنسيين من عام 1832م إلى عام 1838م، ويشهد التاريخ - والأعداء قبل الأصدقاء- بشجاعته وبطولته وعدله وعلمه وفضله، وهو في الوقت الذي كان فيه قائدا مغوارا، كان شيخ طريقةٍ؛ عابدا متصوفا متضلّعا في العلم ساميا في الفكر، حتّى أنّه ألّف كتابه (المواقف) في التّصوّف، ويقول[9] من درسوا حياته وخبروه وقاربوه إنّه كان كلّ يوم يقوم الفجر، ويصلّي الصّبح في مسجد قريب من داره في محلّة العمارة، لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض، وكان يتهجّد الليل، ويمارس في رمضان الرّياضة على الطّريقة الصّوفية، وما زال مثالا للبرّ والتّقوى والأخلاق الفاضلة، إلى أنْ توفّي - رحمه الله- سنة 1883م.

لقد كان للجمعيات الصّوفية دور مهمٌّ في إحداث المقاومة، سواء في الميدان الديني أو الاجتماعي أو السياسي، ولمّا انهزم المقاومون أمام التّرسانة الضّخمة الّتي دعّم بها الجيش الفرنسي، زاد ارتماء المواطن الجزائري في أحضان الصّوفية؛ ليعيش في عالم الروحانيات والتخيلات، لعلّه يجد الخلاص على أيدي الشيوخ المتصوفة، وكان بعض المتصوفة من شيوخ الزوايا مع ذلك يحملون رايات الجهاد ويرفعون شعلة الحماس.

والواقع أن الفرنسيين حاولوا استغلال الطرائق الصوفية لصالحهم منذ البداية، إلا أنّ بعض الطرائق كانت تعلن الجهاد جهارا، ومنها الطريقة الرحمانية، التي تحالفت مع الأمير عبد القادر وبايعته على الجهاد إلى أن انهزم سنة 1847م، ثمّ واصلت بعده المقاومة والجهاد في منطقة زواوة إلى غاية 1871م. "لقد استطاع الفرنسيون أن يسيطروا على أعيان السياسيين والمحاربين

منذ السنوات الأولى، ففرّقوا شملهم كما فعلوا مع ابن العنابي، وحمدان خوجة، أو أسكتوهم بالوظائف، كما فعلوا مع مصطفى بومزراق والأمير، أو قتلوهم في الميدان مثل محمد بن علال، وبوزيان الزعاطشي والشريف بوبغلة، أو غيّبوهم في السجون، مثل إبراهيم بن مصطفى باشا، والشريف بومعزة، وشريف ورقلة"[10].

ويمكن ترتيب الطرائق الصّوفية التي ظهرت بالجزائر زمنيا كما وردت في كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي) لأبي القاسم سعد الله[11]:

1. **الطريق القادرية:** تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (الكيلاني) المتوفى ببغداد سنة 561هـ، ويعدّ عند المتصوّفين سلطان الأولياء، وقطب الأقطاب والغوث، وعضد الإسلام وله كرامات وخوارق تُنسب إليه. والزاوية الأم لهذه الطريقة توجد ببغداد، ولها فروع في الجزائر. وأول من أسس فرعا للقادرية في الجزائر هو الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي سنة 1200هـ. ولها زوايا ومساجد في الجزائر وتلمسان وقسنطينة وبجاية، ومن أهم أتباعها الذين قاوموا الاحتلال الفرنسي الأمير عبد القادر، وهو أشهر من نارٍ على عَلَم.

2. **الطريقة العمارية:** وهي من الطرائق التي التصقت بالطريقة القادريّة مؤسسها عمار بوسنة المولود في 1123هـ/ 1712م، وقد تولاها فيما بعد رجل يسمّى مبارك بن يوسف، جاء من مراكش وقد كان عميلا لفرنسا بحسب ما تذكر الأخبار.

3. **الطريقة الشّاذليّة:** مؤسّسها هو الشّيخ أبو الحسن الشّاذلي، وهو من مواليد سنة 593هـ قرب سبتة بالمغرب الأقصى، وانتقل إلى مصر، واشتهر هناك، وكان لهذه الطريقة عدة فروع، وقد اشتهر في الجزائر الفرع الذي تولاه الشيخ محمّد بورقية، وأصله من غريب نواحي مليانة، بلدية جندل، وسكن قصر البخاري جنوب المديّة على مشارف الصحراء وأسّس هناك زاويةً للشّاذُليّة لكنّه جاء في وقتٍ شهد الثّورات من جهة، وغطرسة السّلطات من جهة أخرى

فكانت حياته وحياة زاويته أنموذجا للعمل الصّوفي في وقت الاضطراب السّياسي، والاقتصادي.

4. **الزّروقية واليوسفية:** لقد تفرّعت عن الطريقة الشّاذلية عدّة فروع ومنها الزّروقية؛ نسبةً إلى الشّيخ أحمد زروق البرنوسي الفاسي؛ دفين مصراتة 899هـ، وكان قد أقام بالجزائر في آخر القرن الهجري التاسع، وفي بجاية وقسنطينة؛ واليوسفية نسبةً إلى الشّيخ أحمد بن يوسف الملياني المتوفى في سنة 931هـ، وكان الفرنسيون يراقبون تحرّكات الطّرائق الصّوفيّة عموما، ولا سيما تلك التي كانت لها علاقة بالخارج، وقد لا حظوا أنّ هناك حركةً مشبوهةً بين درقاويّة المغرب ويوسفيّة الجزائر، فراقبوها عن كثب، وبدأتْ في التّضييق من هذه الاتصالات.

5. **الطّريقة العيساوية:** هي من فروع الشّاذلية، مؤسسها هو محمد بن عيسى، دفين مكناس بالمغرب الأقصى، وقد اشتهرت العيساوية بين العامّة بأنها من الطرائق المهرّجة، فهي تمارس أعمالا ظاهريّا لا علاقة لها بالعبادة والتّصوّف، كالرّقص، وأعمال العنف والتّضارب، والسّحر، وغيرها من أوجه النّشاط العضليّ، والبدنيّ، على مسمعٍ ومبصرِ كلّ النّاس، وهي طريقةٌ مرضيّة عند السّلطات الفرنسيّة، ولها في الجزائر فروع وزوايا، ومنها زاوية الرّمشي قرب تلمسان.

6. **الطّريقة الحنصاليّة:** هي فرع آخر من فروع الشّاذليّة، ومؤسّسها هو سعيد بن يوسف الحنصالي؛ من المغرب الأقصى، توفي سنة 1114هـ/ 1702م وقد بقيت هذه الطّريقة هادئةً، ولم يرتبط اسمها بالثورات، ورأى الفرنسيون في ذلك موقفا صحيحا، ولها أتْباع بقسنطينة.

7. **الطّريقة الكرزازيّة (الأحمدية) والزّيانية:** ظهرت الطريقة الكرزازيّة في الجنوب الغربي للجزائر، على يد الشّيخ أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز، المولود في 907هـ، والمتوفى في 1016هـ، والزّاوية الأمّ لهذه الطّريقة

توجد جنوب القنادسة في الطّريق المؤدّي إلى توات أمّا الزّيّانيّة فتمرّ عبر سلسلة من العلماء، والصّالحين أمثال أبي مدين شعيب، وأبي الحسن الشّاذلي، ومحمد بن ناصر الدّرعيّ، مؤسسها هو محمد بن عبد الرّحمن بن بوزيان، المتوفى في سنة 1145هـ، ويراها الفرنسيون طريقة متسامحة.

8. **الطريقة الطيبية:** سلسلة التّصوّف في هذه الطّريقة مرتبطة بالشّاذلية ويرجع تأسيس الطيبية إلى إدريس الأكبر، ولها زاوية أمٌّ في وزان، وتسمّى دار الضّمان.

9. **الطّريقة الشّيخيّة:** تنسب الشّيخيّة إلى سيدي الشّيخ، وهو عبد القادر بوسماحة؛ دفين البيّض وكانت وفاته في سنة 1023هـ/ 1615م، وأصولها الصّفية ترجع إلى عدّة طرائق؛ منها القادرية، والشّاذلية، والطيبيّة، والصّديقيّة والبكريّة، وأتباع هذه الطّريقة كانت لهم أدوارٌ مزدوجة، فتارةً يكونون في مقدّمة الثّائرين ضدّ الاحتلال والنّظام الفرنسي، وتارةً يكونون لهم خَدَمًا، ووُلاّةً يطبّقون الأوامر الإداريّة والتّعليمات على أفضل ما يكون.

10. **الطّريقة الدّرقاويّة:** أصل هذه الطّريقة يعود إلى الشّاذليّة، وقد ظهرت في المغرب الأقصى وتُنسَب إلى محمّد العربي الدّرقاويّ، المتوفّى سنة 1823هـ نسبةً إلى قبيلة درقة، وزاويتها الأمّ توجد في بوبريح شمال فاس، وكانت ملجأً للثّوّار، أمثال بوعمامة، وأتباعه، كما كانت ناقمةً على الحكومات، وأتباع هذه الطّريقة في الجزائر نادوا بالجهاد والثّورة مثل موسى الدّرقاوي المعاصر للأمير عبد القادر، والذي حياته مليئة بالمغامرات، والحروب والبطولات، وقد هرب إلى بني يعلى بزواوة، وشارك مع الشيخ بوزيان في ثورة الزّعاطشة سنة 1849م، وهناك استُشهد، وعلّقت رأسه إلى جانب رأس بوزيان على باب المعسكر الفرنسي.

11. **الطّريقة الهبرية:** أسّسها الحاج محمد الهبري، وقد خرجت من الطّريقة الدرقاوية، لها زاوية في بني سناسن، وهي محايدة اكتفت بالعبادة والانعزال.

12. **الطريقة المدنيّة:** ظهرت هذه الطّريقة في أوائل القرن الهجري الثالث عشر، في مصراتة بليبيا، ومؤسّسها هو الشّيخ محمّد بن حمزة المدنيّ، وهي تابعة في الأصل للطريقة الدّرقاوية.

13. **الطّريقة العليوية:** تنسب إلى الشّيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة، وهو من مواليد مستغانم ولهذه الطريقة بعض الزّوايا في مستغانم، ومعسكر وغليزان، والجزائر، ووهران، وزواوة وهناك من يتّهم هذه الطّريقة، بأنها كانت موالية للسلطات الفرنسيّة.

14. **الطّريقة الرّحمانية:** مؤسّسها هو محمد بن عبد الرحمن الأزهري الجرجريّ، وهو من زواوة، من قبيلة آيت إسماعيل، من عرش قشطولة، وأسس زاويته في قرية آيت إسماعيل وله من التّلاميذ من صاروا فيما بعد من كبار الشّيوخ، وفي سنة 1857م استولى الفرنسيون على زواوة، وخربوها، وعاثوا في زاوية آيت إسماعيل فسادا، وأسروا لالة فاطمة نسومر.

وقد تحالفت الطّريقة الرّحمانية مع الطّريقة القادريّة على الجهاد ضدّ الاحتلال منذ 1830م، وبعد هدم الزّاوية الأمّ للطّريقة الرحمانية، انتشرت هذه الطريقة بسرعة، عكس ما كان يتوقّعه الفرنسيّون، وها هم أتباعها في جيش الأمير عبد القادر، وثورة الشّيخ الحدّاد ذي الطّريقة الرّحمانية، خير دليل على أنّ الطّريقة الرّحمانية الزواويّة الأصل، هي أكثر الطّرائق الصّوفيّة مقاومة للاحتلال الفرنسي، ليس في زواوة فقط، بل كان لها انتشار كبير، وبخاصة في الشّرق والجنوب الجزائري.

15. الطريقة التّيجانيّة: مؤسسها هو أحمد التيجاني المتوفى بفاس في سنة 1814م/ 1230هـ وانتشرت الطّريقة التّيجانية في التّلّ، والجنوب، عن طريق

القوافل التّجارية بالخصوص، إلا أنه قيل عن هذه الطّريقة أشياء كثيرة وخاصّة تلك الشّعارات المثبّطة التي كانت تطلقها في وقتٍ كان الأمير عبد القادر يدعو إلى الجهاد؛ منها قولها: "إنّ اللّه قد حكم، وقدّر للجزائر الآن أنْ تكون بيد الفرنسيين، وإنّ تحريرها متوقّفٌ على عامل الوقت، وهذا الوقت لم يحن بعد، ولن يحين ما دام الفرنسيون أقوياء، وإنّ الاحتلال مكتوبٌ ومقدّر ولا فائدة من محاولة التّخلّص من المكتوب والمقدّر، لأنّ ذلك ضدّ إرادة اللّه..." وغير ذلك من الأقوال والمواقف التي سجلت على هذه الطريقة، وكلها تطعن في نزاهتها، وتؤكد موالاتها لفرنسا.

16. الطريقة السّنوسيّة: مؤسّس الطريقة السّنوسيّة هو الشّيخ محمد بن علي السّنوسيّ، وقد اشتغل بالعلم مبتعدا عن الحكام، والسّياسة، إلا أنّه كان يأوي بعض الثّوّار، واعتبرت فرنسا الطريقة السنوسية خطرا عليها.

17. إضافة إلى ما ذكرناه، هناك عدّة طرائق أخرى صوفية، ذات نفوذ قليل في الجزائر، مثل:

- **الطريقة البوعليّة:** ترجع إلى بوعلي السّني؛ دفين نفطة؛
- **الطّريقة الشّابية:** مؤسّسها هو أحمد بن مخلوف، ونشطت في نواحي القيروان؛
- **الطريقة البكائيّة:** زعيمها أحمد البكّاي؛
- **الطّريقة المكاحليّة:** هؤلاء ليسوا طريقة بالمعنى الصّوفي، بل هم تنظيم أو عصابة وكانوا يخيفون فرنسا.
- **النّاصريّة:** ترجع إلى مرابط قديم، اسمه سيدي ناجي.

لقد كان لبعض الطّرائق الصّوفيّة أهمّيّة كبيرة في الثّورات التي كادت تقضي على أحلام الفرنسي في الاحتلال السّريع، وقد أقام **هانوتو** و**لوتونو** دراسة عن دور الطّرائق الصّوفيّة في زواوة خلال الخمسينات والسّتّينات من القرن الماضي، وقد اهتمّ بالطّرائق نفسها أيضا **إيميل ماسكري** في الفترة ذاتها تقريبا.

لقد تعامل الاحتلال الفرنسيّ مع الظّاهرة الدّينيّة في الجزائر منذ الاحتلال، وتعاملوا مع الطّرائق الصّوفية بالخصوص، فكان لهم ما شاهدوا من القادريّة، والدّرقاويّة، والتّيجانيّة، والشّيخيّة والسّنوسيّة خلال سبعين سنة قبل نهاية القرن الماضي، فرأوا القادريّة التي بدأت محاربة قد انتهت مسالمةً في الجنوب، وفي منعة بالأوراس، ورأوا الرّحمانية التي شنّت الثّورات المتوالية قد انتهت إلى فروع متفرّقة مجتهدة، وكانت السّنوسيّة في فرع زاوية طكوك قد التزمت الصّمت، والتّيجانيّة أعلنتْ الولاء منذ حوالي 1840م، ولكنّ الفرنسيّين ظلّوا يتوجّسون منها خيفةً؛ لأنّ أتباعها مسلمون على كلّ حال، ويمكن للطّرائق الأخرى أنْ تجرّهم إليها في حالة الخطر.

وهكذا لقد كان للطّرائق الصّوفية –أو قل لبعضها- دورٌ ذو بال في تحريك وتيرة المقاومة الشّعبيّة إبّان الاحتلال الفرنسي الغاشم.

6/- الزّوايا في منطقة القبائل: تعدّ منطقة القبائل وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزّوايا، وأهمّها في ميدان نشر الوعي الدّيني بين السكّان، ولكن توقّف عدد كبير من الزّوايا عن أداء الرّسالة التربويّة والاجتماعيّة منذ نهاية القرن التّاسع عشر؛ وذلك بسبب استيلاء الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلاميّة، التي كانت تعتمد عليها الزّوايا، وتعدّ مصدر عيشٍ لها، وأمّا الزّوايا التّي استمرّت في أداء رسالتها فيما بين سنوات 1900- 1954م فهي التي بقيت لها مصادر أو أملاك خاصّة، استطاعت بواسطتها أنْ تعيش، وتواصل عملها في تعليم القرآن الكريم، وعلوم الدّين، ونشر اللغة العربيّة[12].

لقد قامت الزّوايا في بلاد زواوة بدورٍ مهمّ في محاربة الاحتلال الفرنسيّ منذ دخوله بلاد القبائل، "ولم يدّخر الزّعماء الرّوحيّون لهذه المنطقة جهدا في اغتنام كلّ فرصة لإعلاء صوتهم ضدّ الوجود الفرنسيّ، على الرّغم من إمكاناتهم المتواضعة، إلاّ أنّ عزيمتهم كانت قويّة، ومعنويّاتهم كانت مرتفعة جدّا"[13].

فالزّاوية في منطقة زواوة لها مكانة محترمة جدّا في نفوس الزّواويّين ونظرا للاحترام الذي يكنّه سكّان زواوة لأعلام هذه الزّوايا وروّادها، فإنّ أيّ دعوة يدعو إليها شيخ الزّاوية فإنّها تلقى آذانا صاغية، وأبدانا جاهزةً للتّضحيّة والفداء، ولهذا لبّى شعب زواوة عن بكرة أبيهم دعوة شيوخ الزّوايا إلى الجهاد والدّفاع عن أراضيهم، وحتّى عن دينهم، ولغتهم، وثقافتهم.

"وهنا يظهر الدّور القيادي للزّاوية التي ترى أنّ من أهمّ واجباتها تدعيم الإسلام وتعاليمه والمحافظة عليه، ومحاربة كلّ من تسوّل له نفسه المساس به"[14].

وبهذا قامت الزّوايا في منطقة زواوة بالمحافظة على الإسلام، وبخاصّة أنّ فرنسا ركّزت عمليّات التّبشير والتّنصير على هذه المنطقة، حتّى تربطها دينيّا وروحيّا بها، ونشرت لغتها كذلك في ربوعها، فبنت ديارا لإيواء اليتامى، وبنت المدارس، لكنّها ولّت مذمومةً مدحورة، خاسرةً منهزمة وهيهات أنْ يُنزع الإسلام من قلب القبائليّ الحرّ، والعربية والمازيغيّة من لسانه.

وكانت ترى أنّ الزّوايا وشيوخها من أكبر العوائق التي ستجدها أمامها عندما تعمل على غرس السّلطة الفرنسيّة في بلاد جرجرة، وزعموا أنّ دور هذه الزّوايا والمرابطين سيزول في اليوم الذي يُقام فيه حكم مركزيّ في منطقة زواوة، وهذا الحُكْم هو الذي سيقوم بدور الحَكَم في المنازعات بين السّكّان والعشائر، والقبائل الزّواويّة، إلا أنّها أخطأت حين اعتقدت أنّ العلاقة بين شيوخ الزّوايا وبين الزّوايا هي علاقة حاكم بمحكوم، وفي الحقيقة هي أكبر من ذلك وأعمق، "لأنّها علاقة روحيّة عميقة الجذور، فهؤلاء يمثّلون في نظر السّكّان أولياء الله على الأرض، الحاملين لكلمته، والعاملين على مواصلة نشر دينه والمثقّفين لأبنائهم؛ لأنّ المراكز التّعليميّة الموجودة كانت بيدهم، وهي المرجع في كلّ القضايا الدّينيّة، والرّوحيّة، وحتّى الاجتماعيّة"[15] فسلطة الشّيوخ لم تُفرض على السّكان، بل السّكّان أنفسهم هم من اختاروها.

إنّ منطقة زواوة هي من أهمّ المناطق الجزائرية التي ظهرت بها الزّوايا حتّى وصلت عند بعضهم إلى اثنتين وأربعين زاوية، وعند بعضهم وصلت إلى الخمسين، ومن أهمّ هذه الزّوايا[16]:

1) **زاوية شلاطة (آقبو):** اشتهرتْ أيضا باسم زاوية ابن علي الشّريف وزاوية آقبو هي من أقدم الزّوايا العلميّة في المنطقة، وأشهرها، وشيخها هو محمّد السّعيد بن علي الشّريف.

2) زوايا ثيزي راشد وابن إدريس واليلّولي: زاوية ثيزي راشد من الزّوايا القديمة التي كان لها دور رئيس في ميدان المقاومة والتّعليم، وتسّمى أيضا زاوية الشّيخ الحسين أعراب، ولكن هذه الزّاوية هُدِمتْ أثناء ثورة 1871م، وكذلك عانت زاوية الشّيخ محمد (أمحند) الحاج، التي كانت تقع في قرية باجو ببني وغليس من الضّرر البليغ الذي تعرّضت له، وزاوية سيدي الحاج إحساين (حسين) بسمعون بني وغليس قد تعرّضت أيضا للأذى، وظهرتْ أيضا زاوية أحمد بن إدريس، وزاوية عبد الرّحمن اليلّوليّ، وكانتْ شهرتها واسعة في المنطقة.

3) زاوية ابن أبي داود: مؤسّسها الأوّل هو سليمان بن داود بن موسى بن عبد الله، في جبل بني سلام (آقبو) وأسّست زاوية بقرية أولاد أبي داود، ثمَّ نُقلتْ الزّاوية إلى أُقلْميم، وكان للزّاوية نشاطٌ علميٌّ كبير.

4) الزّاوية السّحنونيّة: وهي حديثةٌ نسبيّا، ظهرت في العهد الفرنسيّ موجودة في القرية السّحنونيّة (إيسحنونَنْ) بالقرب من أربعاء بني إيراثن، ولاية ثيزي وزو ومؤسّسها هو الشّيخ عمرو الشّريف، لها فروع في تاغراست، وبني وغليس، دائرة سيدي عيش، بولاية بجاية، وقد أسّس هذا الفرع الشّيخ محمّد السّعيد السّحنونيّ.

وهناك عدّة زوايا أخرى لا يتّسع المقام لذكرها كلّها، وهذا الجدول[17] يبيّن أهمّها في ولاية تيزي وزو أنموذجا:

اسم الزاوية	مقرّها	مؤسّسها	سنة التأسيس
سيدي بهلول	عزازقة	بهلول أحمد الغبريني	ق8هـ/14م
سيدي أحمد بن إدريس	يلولة – عزازقة	أحمد بن إدريس	ق8هـ/14م
سيدي عبد الرحمن اليلولي	يلولة – عزازقة	عبد الرحمن اليلولي	ق11هـ/17م
سيدي عمر والحاج	بوزقان – عزازقة	عمر والحاج	805هـ/1402م
سيدي أحمد بن مالك	بوزقان – عزازقة	.....	ق9هـ/15م
تيفريت ناث أو مالك	بوزقان – عزازقة	محمد وعلي الحاج	ق9هـ/15م
سيدي منصور	أزفون – عزازقة	.....	.....
سحنون جامع الصهاريج	المقلع – عزازقة	سيدي سحنون	ق11هـ/17م
تالة مقران الصهاريج	المقلع – عزازقة	.....	ق11هـ/17م
سيدي علي بوبكر	تيقزيرت	سيدي أبو بكر	ق7هـ/13م
الشيخ الشريف	تيمليلين – تيقزيرت	الطاهر آيت عيسى	1353هـ/1934م
سيدي علي أويحيى	بني كوفي – بوغني	علي أويحيى	ق9هـ/15م
عبد الرحمن الأزهري	آيت إسماعيل	محمد بن عبد الرحمن	1183هـ/1770م
قساوي	ذراع الميزان	.....	.....
تازروت	ذراع الميزان	.....	.....

سيدي علي أوطالب	كوكو – عين الحمام	.....	ق10هـ/16م
الشيخ محمد السحنوني	الأربعاء–عين الحمام	علي بن محمد السّحنوني	ق11هـ/17م
الشيخ أحمد أومعلم	إفرحونان–عين الحمام	.....	.....
سيدي علي تاغلت	إفرحونان–عين الحمام	.....	.....
سيدي موسى	إفرحونان– عين الحمام	.....	.....
سيدي علي موسى	معاتقة	أحمد بن يوسف الإدريسي	ق7هـ/13م
تاجديوث	معاتقة	.....	.....
الشيخ البشير	معاتقة	.....	.....
آيت بويحي	بني دوالة	بني آيت بويحي	1936م
اكحال ابركان	بني دوالة	.....	.....
بوعاصم	تيزي وزو	.....	.....
بوخالفة	تيزي وزو	.....	.....
سيدي أحمد أوالسعيد	أرجان–أربعاء ناث إيراثن	.....	.....
بلجليل	امعالة	.....	.....
الشيخ المحفوظ	امعالة	.....	.....

7/- دور الزّوايا بمنطقة زواوة في مقاومة الاحتلال الفرنسيّ: حاربت الزّوايا على الجبهتين: الثّقافيّة والعسكريّة.

أوّلا: ثقافيّا: لقد حاربت فرنسا الثّقافة الوطنيّة، وحاربت أشدّ ما حاربت اللّغة العربيّة؛ لأنّها وعاء هذه الثّقافة، وإذا ما تمّ القضاء عليها فيمكن القضاء على الشّخصيّة الجزائريّة، وتنفيذا لهذه السّياسة، قام الاحتلال الفرنسيّ بمطاردة اللّغة العربيّة في كلّ مجالات الحياة في الجزائر، فأبعدتْها عن الإدارة وعن المدارس النّظاميّة، وأصبحت الفرنسيّة هي لغة العمل الرّسميّ، والتّعليم النّظاميّ، ولغة وسائل الإعلام، ومختلف النّشاطات الثّقافية، وحاول أيضا القضاء على معظم مراكز الإشعاع الثّقافيّة العربيّة الإسلاميّة، التي تتمثّل في المدارس والجوامع والزّوايا، فحوّل بعضها إلى معاهد للثّقافة الفرنسيّة، وسلّم بعضها الآخر إلى الهيئات التّبشيريّة المسيحيّة. وقد نهب الاحتلال الفرنسيّ التّراث الثّقافي العربي الإسلاميّ الذي عثر عليه في المكتبات الجزائريّة، كالكتب والمخطوطات، والوثائق وأحرق بعض المكتبات الأخرى[18].

لقد حاولت فرنسا من خلال حملة الفرنسة التي شنّتها على مختلف القطاعات الثّقافيّة والتّعليميّة والرّسميّة أنْ تصبغ الجزائر بصبغة فرنسيّة، كي تحقّق زعمها أنّ الجزائر قطعة فرنسيّة لذلك اتّخذت كلّ ما في وسعها للقضاء على اللّغة العربيّة، وإخراجها من المدرسة، والمكتبة، والمسجد والإدارة والصّحافة؛ لأنّ انقطاع صلة الجزائر باللّغة العربيّة هو انقطاعٌ بالضّرورة عن الدّين الإسلاميّ وعن التّراث الحضاري الإسلامي لها، وتنقطع الجزائر بذلك عن جسد الأمّة العربيّة الإسلاميّة، وينشأ أجيالها نشوءًا مبتورا عن جذوره الأصليّة ولهذا كانت الزّوايا تتّجه في تعليمها توجّهين رئيسين هما اللّغة والدّين؛ إذْ بها يمكن المحافظة على مقوّمات الشّخصيّة الوطنيّة. ومن هنا يمكن القول إنّ الزّوايا نجحت في المحافظة على هذه المقوّمات، بمحافظتها على اللّغة العربيّة وتعليمها للمتعلّمين، وتعليم علوم اللغة وكذا علوم الدّين.

ومن السّياسات الخبيثة التي جاءت بها فرنسا أيضا هي حملة التّنصير التي كانت تدعّمها حيث كانت تهدف إلى سلخ الشّعب الجزائري المسلم عن

دينه؛ إذْ أنّ هذا الدّين هو الذي يدفعهم إلى المنافحة عن وطنهم، والدّفاع عنه وعن مقوّماته وثوابته.

يقول الكاتب الخاصّ بالحاكم الفرنسيّ العام للجزائر عام 1832م: "إنّ آخر أيّام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أنْ نشكّ في أنّ هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشكّ على أيّ حال بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أمّا العرب فلن يكونوا رعايا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"[19].

إنّ هذا القول ما كان ليقوله بهذا التّبجّح والسّخريّة المقيتة، إلا لأنّ المخَطَّط كان كبيرا والوسائل كانت مهيّأة، وكلّ النّتائج المسبقة كانت تؤكّد على أنّ الجزائر ستصبح مسيحيّة لا محالة، وهذا ما جعلهم يقولون سنة 1930م احتفالا بمرور مئة عام على احتلال الجزائر: "إنّ المغزى الحقيقيّ من وراء إقامة هذه الاحتفالات، إنّما هو تشييع جنازة الإسلام في الجزائر"[20] لكنّ الله سلّم، وأظهر الزمن كذب فرنسا، وفي ظلّ هذه السّياسات الخبيثة، ظلّت الزّوايا أماكن حصينةً تحمي الإسلام بين جدرانها وتنشره وتشيعه في القرى والمدن، بقدر ما تستطيع، إمّا جهرا، وإمّا سرّا.

وثالثة سياسة جاءت بها فرنسا بعد سياسة الفرنسة، وسياسة التّنصير هي سياسة الإدماج؛ أي إذابة الجزائريّين في الكيان الفرنسيّ، وقد حقّقت الزّوايا في هذه النّاحيّة نجاحا كبيرا في الإبقاء على الرّوابط الثقافية والحضارية بين الجزائر والعالم العربي الإسلامي، وبذلك أفشلت وأحبطت هذه الزّوايا سياسات فرنسا ومحاولتها ربط الجزائر بفرنسا، وبثقافتها وحضارتها، وهذا ما يؤكّد أنّ الزوايا لم تكن دائما مراكز لنشر التخلف، كما يروج لها أحيانا ولم يكن التعليم بها جامدا دائما، بل استطاعت أن تقاوم المسخ الفرنسي وبذلك حافظت على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية، وعملت على الإبقاء على الروابط الثقافية والحضارية بين الجزائر والعالم العربي

الإسلامي، كما أسهمت في القضاء على الاتّجاهات التي كانت تحاول أن تربط الجزائر بفرنسا، ودمج الجزائر في الكيان الفرنسي، وسيذكر التاريخ هذا الفضل للزوايا، وعلمائها إلى آخر الدّهر[21].

ثانيًا: عسكريًا: إنّ نبأ الحملة الفرنسية التي نزلت بسيدي فرج لاحتلال الجزائر أحدث ردود فعل عظيمة وسط الأهالي في منطقة زواوة، وهيئوا أنفسهم للمقاومة، وأرسل زعماء القبائل وشرفاؤها إلى مختلف القبائل التي كانت في حروب فيما بينها، إلى نسيان الأحقاد، والاتفاق والاتحاد من أجل مواجهة العدو المشترك الخارجي، واجتمع الرجال كلهم في اليوم المحدّد، وانطلقوا جميعا إلى العاصمة بعد الدعوة التي وجهها الداي حسين إلى مختلف جهات القطر الجزائري، ومنها بلاد القبائل، وكانت كل قبيلة تسير وراء قيادة زعيم، رفقة أحد المرابطين الذين كانوا يحملون أعلام زواياهم للتبرك بها.

لقد أدى هؤلاء المرابطون دورا بارزا في كل المقاومات التي دارت في مختلف التراب الجزائري، وفي منطقة زواوة خاصة، واستقبلهم الداي حسين عند وصولهم إلى مشارف العاصمة بكلّ حفاوة، ووزّع الأسلحة على بعضهم، وأبلوا في الحروب بلاء حسنا[22].

وبعد عودتهم إلى القبائل، ومشاركتهم في الثّورات الشّعبية تلقّوا الدّعم من الشّيخ مبارك؛ شيخ الزّاوية الرحمانية، بآيت بوعلي في بني دوالة، والذي أمدّهم بأسلحةٍ ومساعداتٍ أخرى، وهكذا ظلّ كلّ قبائليّ مدعوما بدعوات شيوخ الزّوايا، يكافح وهو يعتقد جازما أنّ فرنسا ستنهزم لا محالة، وأنّ المسألة مسألة وقت ليس إلا، وقد تحقّق قول بيري الذي قال: "إنّ الإنسان القبائليّ يفكّر فلسفيّا بأنه عاجلا أو آجلا سنترك البلاد الجزائرية؛ إذْ لا الإنسان الرّوماني ولا الوندالي ولا التّركيّ تمكّنوا من البقاء؛ لأنّ اللّه لا يريد ذلك، فإنّ الفرنسيّ سيأتي دوره كذلك"[23].

لقد كان العامل الدّيني من أكثر العوامل أهمّيّة في المقاومة الشّعبية في كافة أنحاء القطر الجزائريّ؛ نظرا لأنّ الغازي يدين بديانةً غير الإسلام، أمّا الشّعور الوطنيّ، فلم يكن قد نشأ بعد في هذا الوقت من القرن التاسع عشر لذا كان العامل الدّينيّ هو العنصر الأساس في المقاومة، وبخاصّة في منطقة القبائل، إذْ كان الأوائل الذين رفعوا شعار الثّورة، إنّما رفعوه باسم الدّين واشتهر من هؤلاء: الحاج اعْمر؛ مقدّم الزّاوية الرّحمانية، الشّيخ الصّديق واعراب، وهو صاحب زاوية بثيزي راشد، ولالة فاطمة نسومر، وهي من عائلةٍ شريفة، وصاحبة زاوية محمّد أمزيان الورجيوي، والشّيخ الحدّاد؛ صاحب زاوية صدوق، عليهم رحمة اللّه جميعا.

لقد كان شعار الثّورة دائما (اللّه أكبر) وكان الزّعماء دائما يحثّون السّكّان على الثّورة باسم الدّين، وكلّ من يريد أنْ ينفي الإسلام والدّين عن الثّورة الجزائريّة المباركة لا يخرج عن اثنين؛ إمّا جاهل، وإمّا عميل لفرنسا التي دأبت أنْ تنزع هذا الدّين الذي يشكّل قوّة معنويّة لا تُجابَه في كلّ الثّورات والحروب التي خاضها الجزائريّون الأحرار ضدّها.

وإلى جانب شيوخ الزّوايا والزّعماء والمرابطين، فقد شارك طلبة الزّوايا في المقاومة، وأبلغ مثالٍ على ذلك، ما قام به طلبة زاوية ودْريس (سيدي أحمد بن إدريس) الذين شاركوا تقريبا في جميع المعارك التي تزعّمها الشّريف بوبغلة في المنطقة، ولم يتخلّوا عنه إلى غاية وفاته، ومثالٌ آخر هو ظاهرة المسبّلين المدعّمة بالطّلبة بشكل خاص، إيمانا منهم بأنّ مقاومة الطّاغوت الفرنسي واجب ديني[24].

ومن بين شيوخ الزّوايا نذكر خمس نماذج[25] على سبيل التّمثيل لا الحصر

1. الشّيخ صديق واعراب: هو من عائلة شريفة ومحترمة، لها زاوية في ثيزي راشد، هو الذي حرّض السّكّان على العصيان وسط السّوق عام 1855 عنما تقدّم أمام الجميع، رافعا علم الزّاوية وهدّد القيّاد بألفاظ قاسية، فتدخّل

الباشاغا محمد أوقاسي الذي عمل على إرسال قوّات مسلّحة لإخضاع المتمرّدين التّابعين للشّيخ واعراب بآث إيراثن، وللرّجل مواقف لا يتّسع المقام لذكرها.

2. الحاج اعمر: وهو قيّم زاوية الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمن بآث إسماعيل، وهو أبرز من وقف ضدّ سي الجوديّ بعد تحوّله إلى الصّفّ المعادي للمقاومة، وقبوله لمنصب (آغا) في ناحية واضية التابعة للحاكم الفرنسيّ بذراع الميزان، وهو الذي زحف بنفسه يوم 02ديسمبر 1856 على رأس إخوانه إلى الحصن المركزي بذراع الميزان، وهو الذي ساعد كثيرا الشّريف بوبغلة وله كذلك مواقف جليلة كثيرة.

3. لالة فاطمة نسومر وإخوتها: وهم: سي الطاهر؛ قيّم زاوية سيدي محمد أمزيان، وسي محمد وسي شريف، وسي الحاج، كلّهم شاركوا في المقاومة وكان لأختهم دور مشرّف، وهي سليلة الطّريقة الرّحمانيّة، وقد تزعّمت المقاومة في المنطقة منذ عام 1854، وكانت على اتّصال مع بوبغلة، حتّى أنّ بوبغلة جرح في إحدى ثوراته وهي التي أنقذت حياته.

4. الشّريف بوعود ومولاي محمّد وأحمد بن سالم: حاول هؤلاء الثّلاثة أنْ ينسّقوا العمل فيما بينهم بجبال جرجرة، وحصلوا على أسلحة، ومساعدات مادية من الشّيخ مبارك؛ شيخ الزّاوية الرّحمانيّة، وتولّى مولاي إبراهيم كتابة الرّسائل إلى عدد من الزّعماء بالمنطقة، دعاهم فيها إلى حمل السّلاح لمحاربة الفرنسيين المعتدين، وامتدّ تأثير هذا الثلاثي إلى مناطق أخرى، منها جبال البابور، وجيجل والقل.

5. الشريف بوحمارة: وهو ابن سي قويدر التيطراوي، المنتمي للطريقة الدرقاوية، واسمه الحقيقي هو المختار بن قويدر، وكان له دور في المقاومة الشّعبية بالقبائل.

وهكذا نرى أنّه بفضل هذه الزّوايا، وبفضل المقاومة الشّرسة التي أبداها أبطال القبائل الأشاوس، لم تدخل فرنسا أرض القبائل المقدّسة إلا في سنة 1857؛ أي بعد سبعٍ وعشرين سنة من دخولها أرض الجزائر.

وإنْ كان الرّائي يرى البون الشّاسع بين الفريقين، من حيث الأسلحةُ والمُعَدَّات، والتَّعداد، فإنّ ذلك ما كان ليطفئ أُوَار الثّورة، ولا ليخمد لهيبها بفضل ذلك الدّعم الرّوحي، والدّفع الدّيني والعَقَدي الذي كانت تمثّله الزّوايا وشيوخها، وزعماء القبائل المرابطين "وسنبقى نتذكّر الشّيخ الحدّاد؛ مقدّم الزّاوية الرّحمانية بصدوق، وقد تجاوز الثّمانين من عمره، وهو يجول الأسواق رافعا راية الجهاد لثورة عارمةٍ عام 1871م".

8/- دور الزّوايا بمنطقة زواوة في نشر العلم: لقد كان برنامج التعليم في الجزائر عبر أطواره الثلاث يكمل بعضه بعضا؛ ففي الابتدائي يحفظ الطفل كل القرآن الكريم، أو أجزاء منه، ويتقن الكتابة والقراءة، ويتعلم مبادئ الدين، ويحفظ المتون، والنّصوص الضرورية؛ وفي الثانوي يواصل المطالعة والفقه والتوحيد ودراسة النحو والصرف، وأوليات التفسير، ومصطلح الحديث والسيرة النبوية، وأما الدراسات العليا فتشمل الفقه أيضا، وأصول الدين والتوحيد، والتاريخ الإسلامي، وبعض الحساب، والفلك، والجغرافية، والطب والتاريخ الطبيعي. وقد كان التعليم الأول يحصل عليه أبناء الطبقة الغنية وكذلك التعليم العالي الذي لا يواصله عادة إلا الطبقة التي كرست حياتها للعلم، حتى أصبح فيها وراثة. والمقصود هنا هو علم الدين، وقد أضاف بعضهم إلى مواد التعليم العالي الهندسة، وعلم الرسم، والزخرفة، والخطاطة، وكتابة الوثائق.

إن المعلمين كانوا أيضا أحرارا، فهم لا يخضعون إلى أيّ ترقية، وشهرتهم هي التي تدل عليهم وهذه الشهرة تكتسب بحسب العلم، والأخلاق الكريمة والسلوك الجيد، كما أنهم كانوا يحصلون على الشهادة (الإجازة) من أستاذ

معروف، وكانت المدارس كثيرة، ورواتب المعلمين مضمونة من مداخيل المساجد (الوقف) وكان مشاهير الأساتذة يأتيهم المتعلمون من أماكن بعيدة وقد أقيمت الزوايا المجاورة للمساجد لإيواء أمثال هؤلاء الغرباء، ومعظم المدارس الشهيرة والزوايا، كانت متوفرة ثم اختفت نتيجة للاحتلال، والإهمال ومصادرة الأوقاف، وهجرة العلماء أو نفيهم؛ ومن هذه المدارس مدرسة صالح باي بقسنطينة ومدرسة قرومة الواقعة على وادي الزيتون شرقي العاصمة، ومدرسة (زاوية) سيدي محمد ابن عبد الرحمن بجرجرة، وبسهل متيجة كانت زاوية مربوني بالأربعاء بمنطقة القبائل، وزاوية سيدي خير الدين، وزاوية النميلي ببني موسى (غرب العاصمة).

أمّا الزوايا التابعة للقبائل، والأعراش، فقد اختفت أيضا نتيجة الانتقام الفرنسي من المقاومة الباسلة، والخسائر التي تكبدتها السلطات في حروبها المريرة، وحملاتها العسكرية لاحتلال هذه المناطق والتي قادها شيوخ وطلبة هذه الزوايا، إذ قامت بهدم الزوايا، وما نتج عنها من تشتت للمعلمين والمتعلمين واختفاء للكتب والمخطوطات، كما أن المعلمين عموما تضاءل عددهم حتى في المدن؛ لضعف الرواتب وعدم انتظام الدروس، واستقرار الحياة العلمية.

وبعد الاستيلاء على المدن، ومصادرة الأوقاف، وهجرة العلماء، قصد المتعلّمون الراغبون المناطق البعيدة عن الفرنسيين؛ لمواصلة تعلمهم العربي والإسلامي، ومنه ذلك التعليم الذي كان منتشرا في مدارس وزوايا منطقة زواوة، و يقول تقرير كتب عن بجاية وما حولها سنة 1840م إنّ كل دشرة (قرية) كان لها طالب يحسن اللغة العربية، وهو يقوم في الوقت نفسه بوظيفة إمام المسجد، و يعلم الأطفال الكتابة، والقراءة، وحفظ القرآن العظيم، وله أجر يشترك فيه الجميع، وكان بعض هؤلاء الطلبة قد حصلوا على مبادئ الفقه في الزوايا، وهم يحكمون بالصّلح بين الناس أيضا، وفي كل قبيلة أماكن مخصصة للتعليم، وتكوين التلاميذ في المواد التي ذكرناها، في أماكن عادة

تكون قريبة من الزاوية التي فيها، أو كان فيها مرابط اشتهر بين الناس بالورع والتقى، والدراسة مجانية، ومدّتها غير محددة، والجميع المعلمون والتلاميذ يعيشون من تبرعات وإحسان القبائل المجاورة، وأحيانا من مداخيل مخصصة لهم بمقتضى الأوقاف التابعة للزاوية منذ عهود سالفة.

والزاوية مكان مقدس لدى الجميع، ولا أحد يجرؤ على انتهاك حرمتها وأبرز هذه الزوايا في المنطقة؛ هي زاوية شلاطة التي كانت تبعد مسافة يومين عن سوق بجاية، وهي تقع على الضفة اليسرى لوادي آقبو، وتسمى أيضا زاوية ابن علي الشريف، ولها سمعة علمية تجاوزت حدود الجزائر؛ إذ كانت تأتيها الهدايا من فاس، وتونس، وإسطنبول، وفي دراسة هانوتو ولوتورنو عن منطقة القبائل ما يؤكد هذه الظاهرة، فقد قالا إن كل فرد في المنطقة يعرف القراءة والكتابة، وللسكان مدارس عامة، واعتزاز قوي بدعم هذه المدارس؛ إذْ يرون في ذلك واجبا دينيا ونخوة خاصة، ولغة التدريس هي اللغة العربية، والمواد كلها إسلامية، وهي تتبع المنهج الإسلامي، والتعليم في هذه المؤسسات على مرحلتين ابتدائي و ثانوي وهناك بعض المدارس الخاصة بإشراف المرابطين، وهم يقومون عليها بحماس ديني قوي، فهم يستقبلون العديد من الشباب، ويوفرون لهم المسكن، والمأكل، ويعلمونهم مجانا، وكان التعليم نفسه عموميا، وهذه الظاهرة كانت عامة، كما لاحظها مختلف الكتاب، ونعني ظاهرة انتشار الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن العظيم في المدن والأرياف على السواء، ضمن برنامج موحد يقوم على دراسة العلوم الإسلامية باللغة العربية.

أما التعّليم الثانوي فيحصلون عليه في المساجد الكبيرة بالدروس العامة المتطورة، أو بالهجرة في سبيل العلم إلى مناطق أو بلدان أخرى، لقد أهمل الفرنسيون التعليم في المدن والأرياف، على السواء، لأسباب مختلفة منها اغتصاب موارده، وكثرة الحروب، ومشاركة الطلبة في واجب الجهاد وبعد ضعف التعليم بل نكاد نقول انهياره في المدن على أثر الاحتلال، بقي التعليم في

الزوايا والمعمرات، فخرج إليها التلاميذ واغتربوا فيها طلبا للعلم، والمقاومة الثقافية، وبعد نجاح فرنسا في التوغل في الريف أيضا، ومراقبة المعلمين والتلاميذ، ضعف التعليم هناك أيضا وحوصر إداريا بالقوانين، ولغويا بالفرنسية، لاسيما منذ الستينات، وفي هذه الأثناء نشأت زوايا جديدة مثل زاوية الهامل وأولاد جلال، وقصر البخاري، وفتحت زاوية نفطة أبوابها للجزائريين وظلت زوايا زواوة مستمرة في التعليم إلى ثورة 1871، وكل هذه الزوايا ترجع إلى الطريقة الرّحمانية، عدا زاوية قصر البخاري التي كانت شاذلية[26].

إنّ هناك فرقا بين تطوّر الزاوية في المدن، وتطورها في الأرياف أو البادية ففي المدن فقدت الزوايا تأثيرها بعد الاحتلال لوضع المحتلّين أيديهم على المصادر المالية لها، كالأوقاف بالإضافة إلى هدم الكثير من هذه الزّوايا، وتعطيل غيرها بالبيع والاستغلال، كجعلها ثكنة، أو مخزنا أو غير ذلك، ومنها زاوية القشاش، وزاوية الجامع الكبير، وزاوية الشرفة، وزاوية الأندلس ...الخ، وهي زوايا كانت للتّعليم، وإقامة الطلبة الغرباء، والعلماء، وكانت تضمّ الكتب لفائدة المتعلّمين.

أمّا زّوايا الأرياف والبادية فقد عرفت عدّة مراحل ضمن الحقبة الفرنسيّة كانت في المرحلة الأولى قد عادت إلى تاريخها القديم؛ رباطات للجهاد، وتجنيد المجاهدين ضد العدوّ، وكان ذلك في عدّة نواحٍ من الوطن، لاسيما الناحية الغربية للجزائر، إلى حوالي سنة 1850، ثم ظهرت زوايا أخرى، قامت بالدّور نفسه في الجنوب وفي منطقة زواوة خلال الخمسينات والسبعينات، وهناك زوايا أخرى واصلت رسالة التعليم بالوسائل التي عندها بعد أنْ أصبحتْ محاصرة وظهرت أيضا زوايا جديدة، للتعليم فقط في طولقة، وزواوة، والهامل، وقصر البخاري، وأولاد جلال، وأولاد الكراد والوادي، أمّا الزّوايا التّعليميّة القريبة من العاصمة وغيرها من المدن، فقد تأثرت بالاحتلال مبكّرا، ومن ذلك زاوية

قـرومة بالأخضريّة، وزاوية البراكنة بشرشال، وزاوية القيطنة بمعسكر وزاوية مجّاجة بالشّلف.

أما خلال المرحلة الثّانية؛ أي منذ الخمسينات تقريبا، فقد تأثرت زوايا الأرياف أيضا، عندما تدخّلت السلطات الفرنسيّة، لمحاولة فرض رقابتها على التّعليم، والنّشاط السّياسيّ، والاجتماعيّ في الزّوايا، ومن ذلك زاوية شلاطة بمنطقة زواوة، وزاوية علي بن عمر بطولقة.

وأمّا في المرحلة الأخيرة، لقد وقعت السّيطرة التّامّة على الزّوايا التّقليديّة وكان ذلك منذ الثّمانينات تقريبا، فدُجِّن عدَدٌ من المرابطين بالزّواج المختلط والتّوظيف في القضاء والإدارة وهوجمت بعض الطرائق الصّوفيّة؛ كالرّحمانيّة والسّنوسيّة، وحُدِّد نشاط بعض الطّرائق الأخرى، بممارسة البدع، والخرافات فقط، وترك التّعليم؛ كالعيساويّة، والعماريّة، وأصبح من يرغب في إعطاء دروس عليه أنْ يستأذن السلطة الفرنسيّة، التي لن تسمح له، إلا بعد تحقيق وتدقيق.

إنّ التعليم في الزّوايا حورب على العموم، وحوصر بالمدرسة الفرنسيّة ومنذ الاحتلال الفرنسيّ حاول الفرنسيّون جرّ الجزائريّين إلى إدخال أبنائهم إلى مدارس فرنسيّة؛ ليمتصّ التّلاميذ الذين كانوا يلتحقون بالزّوايا لتلقّي العلم الشرعيّ، وهكذا نرى أن الزوايا حوربت من عدّة جهات، وهي:

1) هدم بعضها، ومصادرة أملاكها، وأملاك الباقيات منها، وضمّ مداخيلها إلى أملاك الدّولة الجزائريّة؛

2) إنشاء المدارس الفرنسيّة لسحب التلاميذ من الزّوايا؛

3) محاربة كبار المرابطين واستدراجهم بالوظائف، والزّواج المختلط وتشجيع الدّروشة، والتّدجيل بدل التّعليم؛

4) منع الزّوايا من نشر التّعليم العام، وفرض برنامج ضيّق عليها، لا يتعدّى حفظ القرآن، دون تفسيره، أو تعليم القواعد اللّغويّة وأصول الدّين دون فهم[27].

9/- الخاتمة: إنّ أهمّ ما يمكننا أنْ نقوله في الخاتمة هو إنّنا خرجنا بنقطتين مهمّتين؛ أمّا **النّقطة الأولى** فهي الدّور الرّيادي الذي قامت به الزّوايا والمرابطون، والطّرائق الصّوفية إبّان الاحتلال الفرنسيّ الغاشم، والحمل الثّقيل الذي ناءت بحمله هذه الزّوايا وشيوخها، في سبيل نشر الوعي الدّيني والقومي والثّقافي والعلميّ.

إنّ التّاريخ أثبت لنا أنّ الزّوايا كان لها حضور مشهود في السّاحة العلمية والدينية والجهادية على حد سواء، وهذا ما يجعلنا نطعن في قول من زعم الانتقاص من دور الزّوايا، ومن بطولة شيوخها، جاعلين من حوادث قليلة شاذّة حكما يقاس على كل الطّرائق الصّوفيّة، والزّوايا القرآنية، قد نعترف بعمالة بعض الزّوايا أو الطرائق الصّوفية، والتي هي قليلة جدّا، وسرعان ما عاد الكثير منها إلى جادة الصّواب، وخير الخطائين التوابون، ولكن ما لا نعترف به، ولا نرضاه البتّة هو أن يجعلنا هذا نحكم بالعموم والشّمول - دون تثبّت- على كلّ الزّوايا بالعمالة.

إنّ هذا الحكم يجعلنا نجحد جهود الكثير من أبطالنا، ورجالاتنا الرّمزيّة، أمثال القائد العظيم الأمير عبد القادر، والقائد الشّجاع الشّيخ الحدّاد والمرأة الباسلة الحرّة لالة فاطمة نسومر؛ التي أرغمت أنوف الفرنسيين في التراب هي وغيرها من حرائر الجزائر، إنّه لمن الضّيم أنْ نَغْمِطَ ذا الحقّ حقَّه.

وهذا ما يجعلني أقول –ولست في ذلك مبالغا- إنّ العلم، والقرآن العظيم، واللغة العربية التي بقيت الجزائر محافظة عليها على الرّغم من السّياسات الفرنسيّة الخبيثة لاستهدافها، كان للزّوايا دور كبير في الحفاظ عليها، هذا إنْ لم نقل إنّها الحافظة الوحيدة له.

وأمّا **النّقطة الثّانية**، والتي لا تقلّ أهمّيّة عن الأولى، فهي أنّنا حاولنا ممّا تقدّم أنْ ندحض آراء ومزاعم ودعاوى المغرضين والمشكّكين في انتساب هذه المنطقة المقدّسة إلى حياض الإسلام، ورحاب المسلمين، لقد أثبت التّاريخ بما يقطع كلّ حبال الشكّ، ويقطع خيوط الرّيب أنّ الزّواويين والقبائل، سمّهم كما شئت، خدموا الإسلاميين خدمةً ما كان غيرهم ليفي بها من دونهم، وها هي ذي الفتوحات الأندلسيّة لهم شاهدة، وها هي ذي الزّوايا، والمدارس، والجوامع لهم كذلك شاهدة حتّى إنّهم لم يكتفوا بخدمة الإسلام وأهله، فخدموا اللّغة العربيّة خدمةً ما خدمها إخوانهم العرب في أرض المغرب، ونظرة سريعة على برامج التّعليم في الزّوايا، والجوامع التي كانت في منطقة زواوة تُظهر جليّا ما ذهبنا إليه من رأي، وما ألفيّة ابن معط الزّواويّ إلا من أدلّة ذلك.

إنّ ذا النّظر الثّاقب، والبصر المتفحّص في صحائف التّاريخ وأحداثه ليستنكر كلّ من يحمل على أهل زواوة، ويتحامل عليهم، رافعا عقيرته على أعلامها وشيوخها، وما هذه المحاولة المتواضعة مني ضمن هذه الورقات، إلا جهد المقلّ، وأزعم أنَّ هذا البحث يشكّل لبنة واحدة على الأقلّ في حائطٍ متين وصلب، يحمي بلاد القبائل وأهلها من هجمة المغرضين، ورمية الحاقدين ومثلما أثبت التّاريخ أمسِ لكلّ ذي عينين دورَ القبائل وشيوخها وزواياها في تشييد عمارة الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي الكبير، سيثبتُ غدا أيضا، أنّ هذا الدّور ما زال مستمرّا، وفي طريق النّموّ وما زال سائرا وعن حياض الإسلام والمسلمين سيظلّ مدافعا، ومرافعا، ومراعيا، ومنافحا، ومساهما.

الهوامش:

1- زعيم خنشلاوي "دور الأشراف المرابطين في تأسيس وتبلور الروحانية الأمازيغية" مجلة رسالة المسجد، الجزائر: 2008، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السنة السادسة، العدد الثامن ص07.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط02. بيروت: 2005، دار الغرب الإسلامي مج01، ج01، ص 213، 214.

3 – محمد سي يوسف "العامل الديني في مقاومة الاستعمار الفرنسي لبلاد القبائل إلى غاية 1857" مجلة رسالة المسجد. الجزائر: 2008، السنة السادسة، العدد الثامن، ص 41، 42 (بتصرف).

4 – عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دط. الجزائر: 2001م، دار ريحانة، ص 151 152 (بتصرف).

5 – عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ط02. بيروت: 1979م، دار الكتاب اللبناني ج01، ص 863.

6 – لويس ماسينيوس، دائرة المعارف الإسلامية. القاهرة: 1933م، المجلد5، مادة التصوف، ص 268.

7 – عبد العزيز شهبي، الزوايا والطرق الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر الجزائر: 2007م، دار الغرب، ص 98، 99 (بتصرف).

8 – أبو الحسن علي الحسني الندوي، ربانية لا رهبانية، ط03. بيروت: 1978، دار الفتح، ص 120.

9 – ينظر كتاب حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان، ج02، ص 172. – نقلا عن: أبو الحسن علي الحسني الندوي، ربانية لا رهبانية، ص 126.

10 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مج02، ج02، ص36.

11 – ينظر المصدر نفسه، مج 02، ج02، ص 42 وما بعدها.

12 – عبد العزيز شهبي، الزوايا والطرق الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، ص 22، 23 (بتصرّف).

13 – محمّد سي يوسف "العامل الدّيني في مقاومة الاستعمار الفرنسيّ لبلاد القبائل إلى غاية 1857" مجلّة رسالة المسجد. الجزائر: 2008، وزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، السّنة السّادسة العدد الثّامن، ص 31.

14 – المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

15 – المرجع نفسه، ص32.

16 – ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، مج 04، ج01، الفصل الثّاني (التّعليم في الزّوايا والمدارس الحرّة).

17 – عبد العزيز شهبي، الزوايا والطرق الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، ص 25.

18 – المرجع نفسه ، ص 37، 38 (بتصرّف).

19 – المرجع نفسه، ص41، 42.

20 – المرجع نفسه، ص 42.

21 – المرجع نفسه، ص 46 (بتصرف).

22 – محمّد سي يوسف "العامل الدّيني في مقاومة الاستعمار الفرنسيّ لبلاد القبائل إلى غاية 1857" ص 34، 35 (بتصرف).

23 – نقلا عن المرجع نفسه، ص 38.

24 – المرجع نفسه، ص 42، 43 (بتصرف).

25 – ينظر عبد الرّحمن مصطفاوي "دور الزّوايا والطّرق الصّوفيّة في المقاومة الشّعبيّة للاحتلال" مجلّة رسالة المسجد. الجزائر: 2008م، السّنة السّادسة، العدد الثّامن، ص 68 وما بعدها.

26 – ينظر أبو مريم الجزائري "هذه هي رسالة فرنسا الحضارية للجزائريين" منتدى أهل التفسير على الشّابكة، تاريخ الدّخول إلى الموقع: 2011/05/05م

27– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، مج 02، ج03، ص 171، 172، 173 (بتصرف).